هل ينجح تنظيم القاعدة في اليمن في تحقيق ما فشلت المعارضة في تحقيقه؟

عبد الإله حيدر شائع*

■ لم يتأخر الرئيس اليمني علي عبد الله صالح في الرد على زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، حين نعته الأخير بالـ«الخائن العميل المطيع للأمريكان» محذرا المحاكم الإسلامية في الصومال من تصديق «مكائد الكفار الملتوية» في إشارة إلى دعوة الرئيس اليمني للمحاكم الإسلامية والحكومة الصومالية إلى الاجتماع في صنعاء أواخر حزيران/ يونيو الماضي للمصالحة بينهما، فجاء رد الرئيس علي عبد الله صالح بقتل أحد أهم عناصر بن لادن في اليمن فواز الربيعي ـ 28 عاما، في عملية أمنية يمنية ـ أمريكية مشتركة (الأول من تشرين الاول/ أكتوبر الحالي) شاركت فيها فرقة الاغتيالات الخاصة من قوات الدلتا DELTA التابعة للمخابرات الأمريكية والتي لديها إذن مفتوح بالقتل من الرئيس الأمريكي منذ الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) وكان أحد أسماء هذه القائمة أبو علي الحارثي رفيق فواز الربيعي والزعيم السابق للتنظيم في اليمن.

وفي الوقت الذي فشلت الدولة فيه في إيقاف ملعقة الربيعي التي استخدمها القاعديون السجناء في حفر نفق طوله 45 مترا بعمق خمسة أمتار في أقل من شهرين، فإنها تمكنت من قتله بعد ذلك التاريخ بثمانية أشهر.

ولم تكن المرة الأولى التي يعلن فيها الرئيس اليمني المواجهة مع تنظيم القاعدة، بل كان السباق في منطقة الجزيرة العربية والخليج منذ وقت مبكر من العام 1998 حين ترصد أبو علي المحضار حتى اقتنصه في عملية المراقشة في جبال أبين ـ عدن أواخر العام نفسه، وأعدمه بعد أقل من عام في تشرين الاول/ أكتوبر 1999، ثم جاء الرد القاعدي بضرب المدمرة كول على ميناء عدن بعده بعام في تشرين الاول/ أكتوبر 2000 وقال حينها بن لادن انه أخذ بثأر أبو الحسن المحضار.

تاريخ المواجهة بين القاعدة والسلطات الأمنية اليمنية يشير إلى أن البادئ فيها هو السلطات اليمنية، ومكث بن لادن صامتا عن الرئيس اليمني لا يذكره ولا يشير إليه حتى خرج شباب القاعدة بحفر نفق تحت مبنى الأمن السياسي في شباط/ فبراير من العام الحالي 2006، فجاء خطاب بن لادن بعد خروجهم بخمسة أشهر حين كانوا على أهبة الاستعداد وينتظرون إشارة البدء، ثم أصدرت مؤسسة السحاب الذراع الإعلامية للقاعدة فيلما لمدة ساعة ونصف الساعة (العلم للعمل ـ غزوة منهاتن) يحكي عن التسعة عشر الذين ضربوا أمريكا في الحادي عشر من ايلول/ سبتمبر بمناسبة الذكرى الخامسة، وتضمن الفيلم إشارات كثيرة إلى اليمن وإلى صنعاء.

التغيير.. من المشترك إلى القاعدة

وفي نفس الوقت، أراد التحالف الإسلامي ـ اليساري أن يبدأ برنامجه الخاص في التغيير بإسقاط الرئيس اليمني في الانتخابات ولو من الناحية المعنوية بعدم حصوله على أغلبية مطلقة وسحب معظم الدوائر المحلية لصالحه لتحقيق توازن في إدارة البلاد حسب ما يرون.

وبدأت القاعدة موسم الثأر والانتقام (وبرنامجها الخاص في التغيير) بضرب النفط والديمقراطية التي تراها القاعدة برنامجا أمريكيا لا يتفق مع شريعة الإسلام وأموال النفط قسمة بين الأمريكان والنظام، فهي بذلك تضرب هدفين في آن واحد، في عملية وصفها نائب السفير الأمريكي في صنعاء نبيل الخوري الأمريكي من أصل لبناني والناطق الرسمي باسم الاحتلال الأمريكي في العراق خلال العام الأول من الاحتلال، بأنها عملية «تستهدف الاقتصاد بضرب النفط والغاز والسياحة، وتستهدف التجربة الديمقراطية التي تشهد نموا ملحوظا في اليمن وتعتبر من أفضل الدول في المنطقة» واستنتج الخوري في مقابلة مع راديو سوا أن «الشبكات الإرهابية ما زالت نشطة وقادرة على العمل».

أرادت القاعدة التغيير، وأراد المشترك (تحالف إسلامي ـ ماركسي ـ شيعي) التغيير أيضا، فسقطت المعارضة في صناديق الاقتراع التي اتخذها تحالف المشترك حكما يقبل بنتائجه أيا كانت، وحين جاءت النتائج على غير ما يحلمون رفضوها وهددوا بالنزول إلى الشوارع، سحبوه فور تلقيهم تهديدا من الرئيس المنتخب ديمقراطيا بسحب مصالح قيادات المشترك وفك الارتباط المصالحي الذي تحظى به قيادات المشترك مع النظام والدولة وتتمتع بمزايا هذا الإرتباط.

ورغم خلافات المشترك والنظام الحاكم في اليمن إلا أن أمريكا تجمع بينهما في حربها ضد القاعدة، حرب الإرهاب، وسيؤدي السلفيون التقليديون الذين ذكرتهم دراسة مؤسسة (راند) في واشنطن والمعتمدة لدى وزارة الدفاع الأمريكية، الدور الذي رسموه لهم في صورة تحالف مع الإسلاميين المعتدلين والعلمانيين لضرب الإسلاميين الأصوليين المقصود بهم في تصنيف الدراسة تنظيم القاعدة.

وقالت الدراسة ان هؤلاء يملكون مفردات الخطاب الإسلامي الذي به يستطيعون مواجهة مفاهيم إسلامية تطرحها القاعدة، وهو ما بدا جليا فترة الدعاية الانتخابية حيث أفتى أحد شيوخ المدرسة السلفية التقليدية بحرمة منافسة الرئيس في الانتخابات الرئاسية، وهو ذات الشخص الذي أصدر كتابا يجرم فيه تنظيم القاعدة وعملياتها في العالم تكفلت الجارة السعودية بطباعته عدة طباعات وتوزيعه مجانا، وفي اليوم التالي لمقتل فواز الربيعي كان شيوخ من الإصلاح والمدارس الدينية المختلفة في اليمن على مأدبة عشاء في القصر الرئاسي في صنعاء.

وتحركت القاعدة لضرب المفاصل السياسية والاقتصادية في آن واحد، ولم يكن سابقا في حسبان القاعدة في اليمن المنشآت النفطية أو الأهداف المحلية، وظلت متركزة على أهداف خارجية في الداخل المحلي كالمدمرة كول الأمريكية وناقلة النفط الفرنسية والسفارة الأمريكية، وبقي النفط اليمني بعيدا عن مرمى القاعدة لأن استهدافه لا يخدم الإستراتيجية العامة لتنظيم القاعدة لعدم فاعليته في الأسواق العالمية.

لكن القاعدة بعد مبايعة أبو مصعب الزرقاوي لبن لادن انتقلت إلى مرحلة متقدمة من استراتيجيتها في معركتها العالمية مع القوى الكبرى، حيث بدأت بضرب الحلفاء في حرب الإرهاب، واستهدف تنظيم القاعدة في جزيرة العرب بعدها مبنى وزارة الداخلية في الرياض في سابقة لم تحدث من قبل، و في اليمن أصبحت الأهداف المحلية الآن أفضل لإعادة اليمن إلى وضعه الطبيعي حسب ما تعتمده القاعدة من نبوءة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن اليمن (أرض المدد) بمعنى تغذية جبهات القتال في كل العالم، من رمزي بن الشيبة في عمليات الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) إلى إبراهيم الثور في المدمرة كول إلى خلية لكوانا داخل الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة جبر البنا أحد المطلوبين في أمريكا ورفيق فواز الربيعي في قاعدة اليمن واحد الهاربين الذين رفضوا تسليم أنفسهم من سجن الأمن السياسي في صنعاء، إلى قاعدة العراق التي ضمت أكثر المهاجرين إليها من اليمن وفق التصنيف التاريخي والجغرافي والنبوي الذي تعتمده القاعدة في جغرافيتها، أنها من الركن اليماني إلى بحر العرب.

فواز الربيعي.. رفيق التسعة عشر

وقد تزامن قتل فواز الربيعي أحد المطلوبين في صنعاء والمشتبه بانتمائه للقاعدة، مع بث صحيفة «الصنداي تايمز» البريطانية فيلما لمدة ساعة ونصف الساعة يظهر فيه لأول مرة محمد عطا أمير التسعة عشر الذين هاجموا أمريكا في الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) 2001 واللبناني زياد جراح الذي بدأ حياته لاهيا يتخذ من الفتيات صديقات ومن المراقص ملاذا للمتعة، حتى انتقل إلى ألمانيا للدراسة فكان اليمني من أصول حضرمية رمزي بن الشيبة بانتظاره لهدايته إلى إسلام تنظيم القاعدة وتجنيده ليكون الطيار الرابع ضمن طاقم التسعة عشر المقرر لهم دك أمريكا بهجوم متزامن.

حسب المقاطع التي ظهرت في الفيلم كانوا يضحكون وفي وضع أشبه إلى التسلية وهم ذاهبون إلى الموت، ويظهر أسامة بن لادن يتحدث إلى مجموعة الطيارين الذين اختطفوا الطائرات الأربع وضربوا بها أهدافا في عقر الدار الأمريكية.

هذا النموذج من الشباب الذي أنتجته القاعدة وبثته في جميع أنحاء العالم لم تكن تعرفه الساحة الدولية باستثناء عمليات محدوده ملتزمة بثوابت وتوصيفات الشرعية الدولية والقانون الدولي التي تقسم الناس إلى مدنيين وأبرياء، وتتعامل في الحرب والسلم على أساس الجنس والدم، فالدم العراقي مثلا حرام في أي مواجهة مع الأمريكان، والدم الفلسطيني أيضا حرام في أي مواجهة مع اليهود، حتى لو كان هذا الدم الفلسطيني أو العراقي متعاونا أو متحالفا مع قوى الاحتلال وصنيعته وجزءا منه، فهو حرام وفق ثوابت الشرعية الدولية والقانون الدولي، وهذا ما ترفضه القاعدة جملة وتفصيلا، وتسند القاعدة إلى الأمم المتحدة كل الجرائم التي ارتُكِبَت بحق المسلمين.

وباستثناء تلك العمليات المقيدة بقيود الشرعية الدولية، جاء بن لادن وعمم نموذجا تاريخيا لا يعترف ابتداء بشرعية دولية، ويدعي أنه ملتزم بالشريعة المحمدية التي لها توصيفاتها للمعركة وتوصيفاتها للناس وترتيبها وتقسيماتها ما بين مؤمن ومسلم ومنافق ومرتد وكافر، ومحارب وغير محارب، ولا يعترف بتوصيفات المدنيين والأبرياء، بل حسب توصيفه هناك معتدون وغير معتدين، محاربون ومسالمون، وله أحكامه الخاصة وفق هذه التوصيفات.

فواز الربيعي من هذا الجيل الذي أنتجته القاعدة بهذا الإطار المفاهيمي، رافق محمد عطا مدمر البرج الشمالي من أبراج مركز التجارة العالمي، وعرف زياد جراح المدمر المفترض لمبنى الكونغرس الأمريكي والذي أسقط سلاح الجو الأمريكي طائرته في بنسلفانيا قبل الوصول إلى هدفها في العاصمة واشنطن.

سار مع الاثنين في معسكرات القاعدة، وتلقوا تدريبات متشابهة، ثم سبقوه ورحلوا إلى مهامهم وبقي هو وأبو مصعب الزرقاوي في معسكرات القاعدة بأفغانستان ليتلقوا تدريبات أخرى ثم ينطلقوا إلى مهامهم أيضا.

كان الربيعي مطلوبا أولا من أمريكا حين وضعته الإف بي آي (المباحث الفيدرالية الأمريكية) في شباط/ فبراير 2002 على صفحتها على الإنترنت كأخطر مطلوب في العالم ونشرت صوره على مطارات وموانئ العالم قبل أن تضع أبو مصعب الزرقاوي كأخطر مطلوب.

بعد إعلان أمريكا عنه كأخطر مطلوب بدأت السلطات اليمنية في ملاحقته، فاندمج فواز الربيعي بعد عودته من أفغانستان في أوساط المجتمع اليمني وبحضور القيادة الأولى للقاعدة في اليمن أبو علي الحارثي، واحتضنته القبائل اليمنية رافضة تسليمه للدولة بعد أن طلبته أمريكا فتحركت الأجهزة الأمنية للقبض عليه، واعتبرته القبائل مجاهدا من العار خذلانه أو تسليمه.

حين اعتقاله في مطلع العام 2003 في محافظة أبين لم تكن له علاقة مطلقا بإحراق ناقلة النفط الفرنسية ليمبورغ في تشرين الثاني/ نوفمبر 2002، ولكن بعد دخوله السجن كانت إحدى التهم الموجهة له من المحقق ا لأمريكي الذي مكث للتحقيق معه أياما طوالا عن حياته وعلاقته بأسامة بن لادن، ولأن الخلية التي نفذت الهجوم على ناقلة النفط الفرنسية قضت في التفجير بالقارب المفخخ في عملية مشابهة للذين ضربوا المدمرة الأمريكية كول، واعتقال المخطط والمدبر لها عبد الرحيم الناشري، فإن التهمة لحقت فواز الربيعي وألصقت به.

وقد جاء مقتل الربيعي أيضا بعد أيام من نجاح قوة بريطانية قوامها 250 جنديا في قتل أحد رفقائه في أفغانستان، عمر الفاروق أحد الأربعة الذين فروا من سجن أمريكي في قاعدة باغرام الأمريكية بأفغانستان العام الماضي، وهو الرجل الذي اعتقلته أمريكا في أندونسيا وكان منسق العمليات في جنوب شرق آسيا والمشرف على ضرب مقر للمخابرات الأمريكية في فندق بارديس في العاصمة الإندونيسية جاكرتا وتفجيرات بالي المتزامنة في تشرين الاول (أكتوبر) 2002، وعاد بعد خروجه من السجن العام الماضي إلى مسقط رأسه في العراق، وتمكنت القوات البريطانية من قتله في منزل كان يتواجد فيه في مدينة البصرة.

الربيعي يبصق في وجه المندوب الأمريكي

كانت بداية بن لادن الأولى جبال اليمن وصحرائها، حيث زارها مرتين الأولى في بداية الغزو السوفييتي لأفغانستان والثانية في منتصف الثمانينيات بعد أن تبلورت لديه فكرة القاعدة وجاء إلى «أرض المدد» كي ينفخ في أهلها برنامجه ويبث فيهم روحا جديدة ينطلقون منها في مواجهة من يراهم أعداء الأمة.

احتجزت نقطة التفتيش بن لادن ما بين مأرب والجوف، لم تتعرف بداية الأمر أن الضيف الشاب السعودي ابن الأسرة الثرية الحضرمية الأصل، ثم أفرج عنه في غضون ساعات في وقت مبكر من العام 86 من القرن الماضي، ثم بعد ذلك التاريخ بأكثر من عشرة أعوام، الرئيس علي عبد الله صالح يحذر الشيخ الزنداني من استقبال بن لادن في اليمن بحسب صحيفة الأردن الأسبوعيه حينها.

بعد ثماني سنوات من التحذير كان الشيخ الزنداني يقف خلف الرئيس اليمني في مؤتمر قمة زعماء الدول الإسلامية المخصص لمكافحة الإرهاب ومحاولة اقتلاع القاعدة من جذورها فكريا واجتماعيا وأمنيا وعسكريا المنعقد في مكة المكرمة، هذه الخطوة الزندانية اعتبرتها المنتديات الجهادية تجاوزا لخط أحمر، ولاحترامهم للشيخ الجليل أظهروا صوره على المنتديات وهو يقف خلف الرئيس اليمني في قمة الإرهاب بمكة المكرمة المنعقدة في أواخر العام 2005 وتساءلوا «ماذا يفعل هذا هناك، وما علاقة هذا بهؤلاء؟» يقصدون برويز مشرف الذي قال مؤخرا في بريطانيا ان «باكستان أنقذت الغرب من سقوط محقق بدورها الأمني والعسكري ولاستخباراتي ضد طالبان والقاعدة»، والملك الأردني عبد الله الثاني الذي قال عقب تفجيرات فنادق عمان الثلاثة لقناة (abcnews) الأمريكية ان «المشكلة ليست في الإرهاب، المشكلة في الإسلام نفسه!» فتساءلت منتديات القاعدة «ماذا يفعل الشيخ الفاضل بين هؤلاء؟».

والقاعدة في بدايتها حقيقة يمنية، فجنودها ـ أغلبهم ـ يمانيون حسب التوصيف القاعدي المعتمد على التاريخ في تعريف اليمن «أنها من الركن اليماني إلى بحر العرب» كما عرفها بكر زيد في كتابه أوصاف جزيرة العرب، واقتبسها فارس آل شويل الزهراني أحد شيوخ القاعدة المعتقلين في الرياض بتهمة التحريض على الإرهاب والإفتاء بقتل العسكر لأنهم «جنود الطواغيت» وصاحب العبارة المشهورة «جنسية آل سعود تحت قدمي».

لم يكن فواز الربيعي من أول المهاجرين إلى معسكرات القاعدة، بل سبقه أبو علي الحارثي، الزعيم السابق للقاعدة في اليمن وقتلته المخابرات الأمريكية بطيارتها في صحراء مأرب ذات المكان الذي انطلقت منه أفكار قاعدية محلية وشهدت تفجيرات قبل الإنتخابات الرئاسية بأيام.

وسبق الربيعي إلى أفغانستان، حسان الخامري وإبراهيم الثور اللذان قضيا نحبهما في القارب المفخخ الذي دمر المدمرة الأمريكية كول في تشرين الاول/ اكتوبر 2000، وحسان الخامري هو من جلب موظف المراسم في دار الرئاسة إلى ضيافة بن لادن في قندهار في أواخر العام 1996 ليحضر الدورات الشرعية والعلمية والتدريبات العسكرية والقتالية في معسكرات القاعدة هناك.

وينتمي فواز الربيعي، وفق التوصيف الحديث، إلى الرعيل الأول للقاعدة في اليمن والعالم، الذين تلقوا تدريبات قبل الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) 2001 ومن المرجح أن يكون هو صاحب فكرة الهروب عن طريق حفر نفق تحت الأمن السياسي في مطلع العام الحالي 2006، وصاحب خطاب التحدي في جلسات المحاكمات، والذي بصق في وجه المندوب الأمريكي الذي كان يحضر الجلسات، ويصفه من عاصروه أنه صاحب الرؤى في المنام وكان قد رأى خروجهم من السجن ـ عبر الحفر ـ في منامه، ورأى له زملاؤه في السجن أنه سوف يقتل غدرا واغتيالا.

يحكي مقتل فواز الربيعي بداية قصة جديدة تكتبها القاعدة في اليمن بدماء شبابها من الرعيل الأول، تراب اليمن ودماء أبنائه شهدت ميلاد التنظيم الذي بلغ مداه إلى الشام في زحف سني تعتقده القاعدة أنها «أرض الملاحم»، واليمن «ارض المدد» وهذا ما قاله بن لادن في احتفال بمناسبة تدمير المدمرة كول «أبشركم يا إخواني بأن مدد الإسلام قادم وأن مدد اليمن قادم بإذن الله» ولم يتعجل بن لان على مدد اليمن فهو يعتقد أنه سيأتي حتما مع الأيام كما يعتقد ذلك من نبوءة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

في العملية الأمنية المشتركة قتل محمد الديلمي أحد افراد القاعدة الثلاثة والعشرين الذين نجحوا بالفرار من السجن مع فواز الربيعي، ثم عاد مرة أخرى وسلم نفسه طواعية للدولة لأنه لا عقوبات ولا أحكام صدرت بحقه فترة سجنه، وعفا عنهم الرئيس ولأنهم ليسوا ضمن القائمة التي وزعتها أمريكا على الانتربول الدولي كأخطر مطلوبين هاربين وعددهم ثلاثة عشر من بينهم فواز الربيعي وشفيق زيد أحد الذين فجروا أنفسهم بسيارة مفخخة في ميناء تصدير النفط في الضبة حضرموت، وجار الله أحد الذين فجروا أنفسهم بسيارة مفخخة في منشأة صافر مأرب للنفط والغاز.

ضمن الذين فجروا أنفسهم هاشم العراقي ابن احدى الأسر الكبرى في مأرب، وأحمد الأبيض وكلهم من غير المطلوبين أمنيا وليسوا معروفين لدى السلطات بسوابق إرهابية في حقهم، مما يعني أن ثمانية أشهر من تاريخ فرار القاعدة من السجن كانت كفيلة بصياغة جيل جديد يحمل الخبرات والأفكار والتوجهات والأهداف.

فقد ولدت القاعدة في اليمن من جديد، وفي العالم تزداد توسعا ولن يسأموا حتى يحققوا أهدافهم كما قال الأمريكي ستيفن سيمون مؤلف كتاب The Next Attack (الهجوم التالي) ان تنظيم القاعدة «مجموعة متابرة. وهم يعاودون الهجوم عليك كلما أتتهم فكرة جيدة، في بداية عام 2000، أرادت القاعدة الهجوم على مدمرة أمريكية في ميناء عدن، اليمن، لكن الزورق الصغير المحمل بالمتفجرات غرق لثقل حمولته. وقد وجد الإرهابيون بعد ذلك ببضعة شهور قاربا مناسبا وفجروا فتحة في صفحة المدمرة «يو أس أس كول»، كادت تؤدي إلى غرقها. وأراد الراديكاليون الإسلاميون تفجير مركز التجارة العالمي، لكن المتفجرات المستخدمة لصناعة قنبلة الشاحنة في هجوم شباط/ فبراير 1993 لم تكن بالقوة الكافية. وبعد ذلك بنحو ثماني سنوات، عاد الإرهابيون إلى المركز بزوج من الطائرات المختطفة».

* كاتب متخصص في شؤون الإرهاب
abdulela@yahoo.com

حماس ما بين فشل الداخل وهيمنة الخارج!

د. جمال المجايدة*

واضح ان قيادة حركة «حماس» المنتخبة في الداخل تأتمر بأمر قيادة حركة حماس في الخارج، وهناك معلومات مؤكدة انه كلما حان التوصل لانفراج في الوضع المتفجر بين فتح وحماس او تلمس بوادر اتفاق، تجيء التعليمات من رئيس حماس خالد مشعل من دمشق الى غزة مباشرة لافشال كل شيء!

هذه الحالة مستمرة منذ سبعة اشهر تقريبا أي منذ نجاح حماس في الانتخابات المشؤومة التي كان الشعب الفلسطيني في غنى عنها، ولا يبدو ان هناك حلا لان قيادة الخارج سوف تتمسك بقيادة حماس لئلا تضيع عليها فرصة الزعامة وتتوه في دهاليز المنفى، ومع كل الاحترام لقيادة حماس في الخارج سواء في ايران او سورية الا انها بصراحة تعيش بعيدة كل البعد عن الواقع الفلسطيني المرير، فهي ليست محاصرة وهي ليست في مواجهة مع الاحتلال بشكل يومي، كما ان الناخب الفلسطيني حين صوت لحماس لم يكن يفكر بانه سوف يصوت الى قيادات حماس التي تقيم خارج فلسطين وتسعى لتقرير مصير الوطن من المنفى.

فالناخب الفلسطيني الذي انتخب حماس ليس حبا فيها بل كرها للحكومة السابقة لم يكن يدري ان قيادات الخارج سوف تصادر قرار الحكومة والشعب وأمنه واستقراره وقوت يومه لتصر على القطيعة مع المجتمع الدولي وكأن حماس قوة عظمى اقوى من الاعضاء الدائمين في مجلس الامن الدولي.

وكما يقول جمال نزال، ان سيطرة قيادة حماس في دمشق على مقدرات القرار في حماس والحكومة في آن، يزيد عن كونها شأناً داخلياً لحماس نفسها وذلك من حيث أن قيادات الحركة في الخارج تمارس نفوذاً غير قانوني يتم من تحت طاولة الحكومة على أجهزة حكومية هي ملك للجميع.

الوضع الطبيعي يستلزم أن ينفذ رئيس الحكومة اسماعيل هنية ما يتفق عليه مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس من تعليمات، غير أن العادة قد جرت في غزة منذ سبعة شهور على أن تنقض قيادة الحكومة ما يتم الاتفاق عليه محلياً وذلك بتوجيهات من خالد مشعل شخصيا في دمشق.

لقد تحولت الحكومة المنتخبة بعد مصادرة قرارها لصالح قيادة حماس في الخارج من دورها المحدد في الدستور كذراع يمنى للرئيس الفلسطيني الى الارتهان لما تقرره قيادتها في دمشق التي لديها بالتأكيد أجندة سياسية مناقضة تماماً لبرنامج الرئيس والشعب، وبالتالي ضاعت فرصة إخضاع حكومة حماس للمحاسبة وفقا لقواعد العملية الديمقراطية بسبب الاتهامات بالتآمر ضدها من قبل فتح رغم ان محاسبة الحكومة حق ديمقراطي مشروع نظرا لعدم قدرتها على انجاز اي من الاهداف الوطنية وانتهاء بفشلها في تأمين رواتب الموظفين منذ 7 اشهر.

من المؤسف ان تعرقل قيادة حماس في دمشق ولبنان اي اتفاق للخروج من مأزق الاقتتال والفوضي والفقر مع الرئيس عباس حتى الآن ومن المؤسف ايضا ان تمارس تلك القيادات الاعلامية لعبة الهجوم على القيادة وعلى الشعب الفلسطيني وتتهم كل من يطالب بقوت يومه بالتآمر على حماس.

الكل يذكر انه عندما كان أبو مازن يطرح رؤية سلام فلسطينية أمام الأمم المتحدة تقوم على فكرة حل الدولتين رفض إسماعيل هنية مباشرة مبادرة السلام العربية التي تتحدث عن سلام عربي ـ إسرائيلي مقابل دولة كاملة السيادة للفلسطينيين، وظهرت قيادات حماس في بيروت ودمشق من ابو مرزوق الى محمد نزال تشن هجوما على محمود عباس وتتهمه بالتآمر على حماس.

لقد نجحت حماس في افشال مساعي عباس لدى الامريكان والاوروبيين والعرب في التخفيف من الحصار المفروض غير انها فشلت في انجاز اي شيء على الارض قد يحسب لها الآن او مستقبلا، بسبب مواقفها التي لا تقرأ الواقع كما هو ولانها ترفض ان تتعامل من منطلق مصلحة الشعب الفلسطيني المقهور.

* صحافي من فلسطين
يقيم في الامارات
jmajaida@hotmail.com

المذابح والتفجيرات تشارك فيها القوى السياسية والحكومة والامريكيون:

هكذا يموت العراقيون

مهند حبيب السماوي*

■ لو نظرنا ـ بموضوعية واستقراء ـ الى الموت كظاهرة تقع الذات الانسانية فريسة لها مهما طال هروبها وترحالها، لوجدنا أن الناس ينظرون اليها بوجهات نظر مختلفة تنطلق عموماً من الابستيمة الثقافة التي تتحكم برؤى هذا الانسان أو ذاك... فالموت في رأي البعض حادثة خارجية تمر بالانسان لا يعنيه الان الخوض بها، ويحاول تجاهلها وجعلها بعيده عن مدار اهتمامه، بل لا يساوره أي قلق من الموت وفعله الذي يعد نهاية الانسان الحقيقة التي لا شك فيها أبداً.

وهنالك صنف آخر يرى أن الموت ليس حادثة خارجة عنا وغريبة عن خريطة جسمنا، بل هي تشكل جزءاً أساسيا من كينونتنا ووجودنا الذي سينتهي عاجلاً أو آجلاً. فالموت ـ وفقاً لهذه الرؤية ـ داخل في نسيج الموجود البشري ولا يمكن اعتباره شيئاً طارئاً أو حدثاً عابراً يمر بنا كما يمر بالذات البشرية في حياتها أي شيء عرضي.

وفي العراق الجريح يَنظر الفرد العراقي للموت في بلادنا التي أصبحت آفلة الصوت والصدى والوجود، برؤية تتماهى وتتساوق مع الاتجاه الثاني الذي يرى في الموت جزءا من قوته اليومي المعاش، ولهذا يرفض مقولة (ماركوس اورليوس) التي شبّه بها الموت بسقوط ثمرة تامة النضج، فها هو يموت كل يوم وبعده لم يكتمل نضجه في أساليب وفنون استثنائية انفرد بها بعض مسلحي العراق الذين اساءوا بشكل كبير الى المقاومة العراقية التي تستهدف المحتل، وقد حاولت في هذه المقالة جمع بعض من فنون القتل والموت في عراقنا الميت أصلاً منذ قرون عدة.....

1 ـ السيارات المفخخة / ويقوم الفاعلون هنا بوضع كميات كبيرة من المتفجرات قد تصل الى مئات الكيلوغرامات من مادة (TNT) أو ألـ(C4) في سيارة ثم تترك في مكان وتُفجر من على بعد أمام جامع أو حسينية أو مستشفى أو في سوق شعبي أو يقودها انتحاري ليفجرها بنفسه في الهدف المطلوب، ويستخدم الفاعلون هنا مرات سيارات عادية وفي مرات أخرى سيارات اسعاف أو سيارات الأمن العراقي أو شاحنة كبيرة من اجل الايهام بالنسبة للاسعاف وسيارات الأمن العراقي أو للاضرار بأكبر عدد ممكن من الأهداف بالنسبة للشاحنة، كما نلاحظ انه في بعض الأحيان تعمل هذه الجماعات على تفخيخ الجثث التي تقتلها وتضعها على الشارع حتى اذا ما أتت القوات الأمنية لحملها انفجرت عليها، بل قامت بعض الجماعات المسلحة بوضع المتفجرات في بعض الحيوانات الميتة في الشارع أو الحيوانات الأحياء كالحمير والأحصنة وتفجيرها عن بعد متى ما يقترب منها الهدف بل وصل الحد اللامعقول الى استئجار شقة ما ثم توضع فيها كمية ضخمة من المتفجرات لكي تُفجر من على بعد لتتهدم العمارة السكنية على رؤوس اصحابها!

2 ـ الانتحاري / وفي هذه الحالة يضع شخص ما ـ اختياراً أو تحت ظروف اكراهية ـ حول نفسه حزاما ناسفا يتألف من مواد متفجرة بكميات تتناسب مع مقدرة الشخص على اخفائها، ثم يقوم بتفجيرها وسط الأهداف سواء كانوا جنودا من قوات الاحتلال (مع العلم أنها قليلة بل اقل من القليلة) أو عراقيين مدنيين سواء كانوا في جامع أو ذاهبين لزيارة مراقد أئمتهم أو واقفين في صف مستقيم بانتظار التطوع للانخراط في أجهزة الأمن العراقية أو في سوق شعبي وسط الناس او يدخل وسط جنازة او عزاء ويفجر نفسه بل أمام دار العجزة كما حدث في البصرة أخيراً. وقد قام هؤلاء أخيراً بابتكارات جديدة اذ وضعوا المتفجرات في الحذاء من اجل الدخول واجتياز الحرس في الأماكن التي يودون تفجيرها كما فعلوا أخيراً في تفجير جامع برثا.

3 ـ العبوات الناسفة / وهي كمية من المتفجرات تُزرع في الشارع بطريقة غير مكشوفة عبر دفنها في الشارع، حيث تنفجر على الشخص أو الهدف المطلوب محدثة خسائر كبيرة تتعدى في اغلب الأحايين الهدف المطلوب وتمتد لتصيب المدنيين في الشارع سواء كانوا رجالاً أو نساء أو أطفالاً.

4 ـ قطع الرؤوس / يمارس الفاعلون هنا القتل بطريقة مقززة وتثير الاشمئزاز والتقيؤ اذ أنهم يذبحون ـ كالأضاحي ـ الشخص الذين يريدون تصفيته وقتله، ويصورونه في كاميرات من اجل عرضه، والغريب في الأمر أن هؤلاء يستطيعون قتل هذا الشخص عبر اطلاق النار عليه الا أنهم يذبحونه بآلات غريبة كالسيف أو الحربة أو السكين وغيرها بشكل يدل على وجود نوازع اجرامية بربرية وأمراض سيكولوجية لاشعورية تتحكم في تصرفاتهم الهمجية.

5 ـ التمثيل بالجثث / حيث نلاحظ هنا تمثيلاً مقززاً بالجثث التي يتم قتلها حيث يقطع الراس حيناً ويوضع على الصدر أو يرمى في المزابل، أو يقطع وتُشق البطن ويوضع فيها، او يُثقب جسمه بجهاز المثقاب او (الدريل)، أو يتم حرق الجثة أو تفخيخها أو يتم اغتصاب المراة وهي ميتة.

6 ـ الاغتيالات / وهو داء استشرى في العراق بشكل مثير للغرابة خصوصاً بعد تفجير المرقدين الشريفين في سامراء، اذ ترى أن هنالك اغتيالات واسعة تستهدف السنة والشيعة على الهوية من قبل مجموعات مجهولة، كما ان هنالك اغتيالات واسعة غير طائفية تستهدف شرائح مختلفة من أبناء الشعب فالأطباء وأساتذة الجامعات والمعلمون والمهندسون وغيرهم من الكفاءات العراقية يتم اغتيالهم في ظروف غامضة لا يتم الكشف والاعلان ومعرفة منفذيها ولا أهدافهم أو الغايات التي من اجلها تُنفذ هكذا عمليات يرفضها جميع أبناء الشعب العراقي، بل ان الاغتيالات تستهدف من جهة أخرى أشخاصا ليس لهم في السياسة لا ناقة ولا جمل كأصحاب أفران الخبز والخضروات وغيرها من المهن والمحلات التجارية بل ومن يبيع الثلج في الصيف.

7 ـ الهاونات / وفي هذا النوع من القتل تقوم هذه الجماعة المسلحة بضرب منطقة معينة بقذائف الهاون التي تقع بصورة عشوائية على المنطقة الآمنة فتقتل الناس المدنيين بلا ذنب ولا جرم، وفي الواقع أن الهاونات في أحيان أخرى تضرب على المعسكرات الأمريكية التي ربما نجد فيها مبرراً اذا لم تؤد الى قتل العراقي أما أن تضرب منطقة مدنية في الهاونات فهذا ما لا يمكن أن يوصف بأي وصف وتحت أي مسمى شرعي أو مقاوم.

8 ـ الاختطاف / وهنا تقوم هذه الجماعات بخطف أهداف متنوعة سواء كانوا أجانب أو مواطنين أو كانوا جنودا أمريكان أو من قوات الأمن العراقية أو من المدنيين أو الصحافيين أو موظفي الوزارات، بل يمكن أن يخطف أي مواطن عراقي على هويته الطائفية ثم بعد ذلك أما يُقتل أو تدفع فدية له من اجل الاستفادة من أموال الفدية في شتى المجالات سواء كانوا عصابات تبتغي الربح المادي أو مسلحين من اجل تنفيذ عمليات عسكرية.

9 ـ قتل الأطفال والنساء / آثرت أن اعزل هذه النقطة لوحدها لأهميتها الانسانية، اذ أن البعض في العراق ممن يحمل السلاح يقوم باغتيال النساء والاطفال لمختلف الأسباب وهو شي خطير لا أستطيع أيجاد مفردة تلائمه من جهة أولى، ومن جهة ثانية يقع الأطفال ايضاً ضحية القتل والموت لا عن طريق قذائف الهاون التي قد تسقط على أحيائهم ولا في تفجير العبوات في الشارع التي قتلت من الأطفال والعراقيين أضعاف ما قتلت من جنود الاحتلال... بل قتل الطفولة تم في تفجيران انتحاريان في بغداد عبر سيارة يقودها انتحاري حيث قتلت في الأولى 42 طفلا وفي الثانية 36 طفلا وقعوا في مركز التفجير الانتحاري، وفي صورة اقشعرت منها النفس البشرية واشمأزت من صداها روح الانسان الذي يتعجب لهذا الاجرام والوحشية بل والأيديولوجية التي تسوغ هذا العمل الشنيع.

10 ـ التسميم / وهنا يوزع البعض من الارهابيين حلويات أو أطعمة مسممة أو عبر تفجير يوضع فيها غاز سام كالكلور الذي يؤدي بالتالي الى تسميم المواطنين وقتلهم.

11 ـ قتل الزائرين / في هذه الحالة يُقتل الشيعة القادمون نحو المقامات الشيعية المقدسة لديهم في مناسبات ذكرى ميلاد أو وفاة أئمتهم، حيث اما أن يتعرضوا لتفجير انتحاري عن طريق شخص أو سيارة مفخخة أو يضربون بالهاونات وهم في طريقهم نحو المزار أو توضع عبوة ناسفة في طريقهم أو يموتون عن طريق توزيع طعام مسمم.

12 ـ القتل في المواجهات/ هنا يموت العراقي في الشارع عندما تندلع صدفة مواجهات بين المسلحين وقوات الاحتلال فيحصل اطلاق نار عشوائي يؤدي الى مقتل الفرد العراقي كما يمكن أن يحدث ذلك من قبل جنود الاحتلال اذا ما اقتربت منهم أو اذا ما انفجرت عبوة ناسفة أو سيارة مفخخة على ارتالهم فيبدأون بالرمي العشوائي في الشارع وبالتالي يقع المواطن الذي كان متواجداً بقربهم ضحية لهذه الأعمال.

ويجب التنبيه على مسألتين مهمتين:

الأولى: أن هنالك وج